



محاولة لقراءة واقع التيار الإسلامي الشيعي (٢)

## الاختلاف في المنهج أم التنوع في الأدوار

بقلم - جعفر الهدى:

تنوع الأدوار بين السيد محمد باقر الصدر وآية الله السيد الخوئي رضوان الله عليهما فقد نقل إن السيد الصدر كان لشدة احترامه لأستاذه على ما بينهما من (تباين) بسبب تنوع الأدوار كان لا يسير في مقدمة الطريق والسيد الخوئي يسير خلفه حتى من باب الصدفة تعبيراً عن الاحترام بعدم التقدم على أستاذه ...

إن التنوع في الأدوار ربما يسبب حالة من الإرباك المؤقت كما حدث لبعض أنصار الإمام الحسن في بداية صلحه مع معاوية لكنه لن يتسبب في تشطي التيار بشكل دائم وسرعان ما يتحول الغموض الذي يكتنف بعض خيارات المرحلة إلى وضوح يمكننا من حسم الخيارات في اتخاذ المنهج المناسب لكل مرحلة ولكن وبخاصة عندما تكون الأمور غير واضحة والخيارات غير محسومة فعلى الرموز أن يتخذوا من تنوع الأدوار سبيلاً إلى العمل من أجل مصلحة الناس.

على الصعيد العملي أعتقد إن جلوس الرموز في الوضع الحالي يجب أن يكون على هذا الأساس الفكري لأن كافة المناقشات والمساجلات المطولة لم تحسم ولن تحسم في المستوى المنظور خيارات المرحلة بدقة فليكن هناك من يرى الممانعة سبيلاً لتحريك الوضع السياسي وأن هناك من يرى في المشاركة وأقصد بها

هنا المنهج وليس المشاركة في المجلس النيابي فحسب وليقم كل فريق بعمل خطوات تدعم خياره ولنقيم بمراجعة شاملة فربما نصل إلى وضوح أكبر حول الخيار الأفضل وربما نتفق على أن التنوع هو الخيار. من المنطقي على هذا الأساس إلا نعتبر أنفسنا حركات أو أحزاب مختلفة وإنما قوى في تيار واحد تماماً كالأموج المتدفقة في خليج مترابط وهذا الأساس المنطقي الذي يمكن أن يكون الضمانة لإدارة اختلافاتنا مهما تعددت وكثرت وعلى هذا الأساس لن يضرنا أن تكون هناك أكثر من قراءة للواقع السياسي وأكثر من خيار للتحرّك مهما بعدت الفوارق بين هذه القرارات من تباعد في المنهج السياسي، وذلك من أجل

الاتحول القراءات إلى حالة من التجمع لمجموعة داخل التيار تبقى قائمة ويستمر التطوير لها حتى مع انتهاء حالة القراءة السياسية التي تأسست على أساسها.

ورغم أن كل تلك افتراضات إلا أنها من الناحية النظرية قائمة وممكنة وأعتقد أن التأصيل لتيار (المشاركة) أو تيار (الممانعة) على حد سواء كتيارين ثابتين خطأ استراتيجي يرتكبه التيار الإسلامي لأنه يفقد دعاة التيارين القدرة على المرونة والتحرك وتنوع الأدوار في المراحل المختلفة أو المرحلة الواحدة.



جعفر الهدى

يقول الشهيد الصدر ( حين ندرس الأئمة ككل ونربط بين هذه النشاطات، وبعضها ببعض ونلاحظ أن العمليات وضعت على مدى ثلاثة أجيال، نجد أنفسنا أمام تخطيط مترابط يكمل بعضه بعضاً، ويستهدف الحفاظ على تواتر النصوص عبر أجيال عديدة حتى تصبح في مستوى الوضوح والاشتهار، تتحدى كل مؤامرات الإخفاء والتحديد....

هذا هو السؤال كله الذي يقبّس على ضوء ما تقدم. وقد لا نحتاج إلى شيء من البحث لكي نتفق بسرعة على نوعية الدور المشترك الذي أسند إلى الأئمة (ع) في تخطيط الرسالة). وبالرغم من أن هناك أحاديث كثيرة عن الجوانب السلبية في تنوع أدوار الفقهاء كرموز بعد الأئمة إلا أن الكثير من الجوانب المشرفة التي يمكن أن نتأملها تصلح لأن تكون مرجعية مناسبة لتنوع الأدوار فقد سمعت من الأستاذ عبد الوهاب حسين أهم القصص الرائعة عن

كثيراً ما ترد في تصريحات الرموز القيادية في التيار الإسلامي مصطلح (الاختلاف في المنهج) وهو مصطلح مقارب لمصطلح أطلقه الشهيد آية الله محمد باقر الصدر الذي أصل للكثير من مصطلحات ومبادئ الفكر الإسلامي وهو (تنوع الأدوار)، غير أنني أرى ما بين المصطلحين مساحة كبيرة من التباين يمكن أن تؤدي إلى بلورة واقع سياسي مختلف للتيار الإسلامي.

مجرد تعابير مختلفة عن حقيقة واحدة، وإنما اختلف التعبير عنها وفقاً لاختلاف الظروف والملاسات التي مر بها كل إمام، وعاشتها القضية الإسلامية). في واقعنا الحالي نلاحظ أن هناك فراغاً وتداخلاً في بعض جوانب العمل السياسي والحقوق والاجتماعي بسبب عدم تركيزنا على تنوع الأدوار واهتمامنا بشكل كبير على الاختلاف في المنهج ويمكن أن يكون التنوع في الأدوار حتى على صعيد الملف الواحد حلاً جيداً لعدم للتباين في الرؤية حول تحديد المنهج المناسب للمرحلة وهو الآن النقطة الأساس التي تسبب التباين. يمكن أن يكون التنوع في الأدوار ثراءً للتيار الإسلامي إذا أصبح مدرسوً ومنظماً ومفيداً للحراك الوطني لأن التيار الإسلامي يملك من القواعد الشعبية ما يمكنه من سد فراغ كبير الحراك السياسي على المستوى الوطني ويمكن أن يتجه التنوع باتجاه المؤسسات أو باتجاه اللجان التي تمسك ملفات لكن في إطار جهد أشمل تتنظم فيه كل الأدوار، فلا يزال التيار الإسلامي غير فعال في مجال الشفافية ومراقبة المال ولا نزال نعاني من فراغ في مجال وجود منظمات تعنى بتسمية الديمقراطية والمواطنة ومراقبة المؤسسات الرسمية وغيرها من المجالات. لذلك أعتقد أن هذه الرؤية يمكن أن تكون أساساً لإدارة اختلافنا في تحديد المنهج المناسب بين من يرى ما يعرف (بالممانعة) وبين ما يعرف (بالمشاركة) إذ لا أعتقد أن دعاة الممانعة يرون إن المشاركة مبدأ خاطئ من حيث المبدأ (الأصل) فقد تأتي ظروف سياسية مختلفة يتحول فيها هذا التيار للمشاركة وهو ما حدث أبان التصويت على الميثاق حينما اتفق كافة الرموز على الدعوة للمشاركة والتصويت بنعم، وقد تحدث ظروف سياسية أخرى يتحول فيها تيار المشاركة للمقاطعة

الحديث عن اختلاف المنهج يعني الحديث عن اختلاف دائم يكرس تعددية في المرجعية أو في العمل الحزبي بينما الحديث عن تنوع الأدوار يختص بالتباين في المرجعية الواحدة أو المتفقة أو التيار أو الحزب الواحد ومن الطبيعي إن الفكر الإسلامي لا يرفض التعددية في المناهج السياسية لكن لذلك التعدد مقومات لا تطبق على واقعنا السياسي في التيار الإسلامي حيث إن هذا التيار يتمتع بمقومات اتفاق كثيرة بحيث يصبح التباين بين الرموز في العمل السياسي (تنوع في الأدوار). من نافذة القول الحديث عن تنوع أدوار أئمة أهل البيت وهي المرجعية التي استند لها الشهيد الصدر في كتابه المعروف كما أنه سيكون هدراً الحديث حول تنوع أدوار الفقهاء والعلماء فصي ذلك حديث تطيري مطول غير أن ما يجب أن يشار إليه إلى أن السيد الصدر عندما أطلق مصطلح (تنوع الأدوار) على التباين في الأداء السياسي بين الأئمة مقسماً حياتهم السياسية والدينية إلى ثلاث مراحل بالرغم من إن أئمة أهل البيت تباينوا بين الثورة والصلح وبناء القواعد الشعبية فإن الصدر لم يطلق مصطلح (اختلاف المنهج) لتأكيد على وحدة الخط. يقول الشهيد الصدر (إذا قمنا بدراسة أحوال الأئمة (ع) على هذين المستويين، فسوف نواجه على المستوى الأول اختلافاً في الحالات، وتبايناً في السلوك وتناقضاً من الناحية الشخصية بين الأدوار التي مارسها الأئمة (ع). فالحسن مثلاً هادن معاوية، بينما حارب الحسين يزيد حتى قتل، وحياء السجاد قائمة على الدعاء بينما كانت حياة الباقر قائمة على الحديث والفقهاء، وهكذا وإما على المستوى الثاني، حينما نحاول اكتشاف الخصائص العامة والأدوار المشتركة بالأئمة (ع) ككل، فسوف تزول كل تلك الخلافات والاختلافات والتناقضات، لأنها تبدو على هذا المستوى